

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (ﷺ) وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
أما بعد :

فإنَّ أعداءَ دينِ الإسلامِ سواءَ إن كانوا شياطينَ أو كافرينَ أو منافقينَ أو أهلَ كتابٍ ، يتربصونَ الدوائرَ بالإسلامِ والمسلمينَ ، ويترصّدونَ المسلمينَ الصادقينَ في كلِّ مكانٍ ، ليفتنوهمَ ويبعدوهمَ عن دينِ اللهِ الحقِّ ، ويمتدُّ هذا العداءُ امتدادَ هذا الدينِ ، فبدأَ العداءُ منذُ بدءِ الخليقةِ ومعَ كلِّ الأنبياءِ (عليهم السلام) واستمرَّ عبرَ العصورِ والأجيالِ إلى يومنا هذا ، وسيبقى إلى أن يرثِ اللهُ الأرضَ ومنَ عليها ، فهذهِ إذنَ طبيعةُ الدعواتِ وطريقُ النبواتِ .

لقد أُصيبَتِ الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ في القرونِ المتأخِّرةِ في أعزِّ ما تملكُ وهو دينها ومنهجها الرباني الذي لا قيام لها إلاَّ به فتناولتها معاولُ الهدمِ والتخريبِ من قبل الأعداءِ حتى أصبحَ الناسُ بعيدينَ عن حقيقةِ الإسلامِ وعن مفاهيمه الحقة ، وانتشرت من جرائِ الغزوِ الفكري والعسكري في أبناءِ المسلمينِ المفاهيمُ العلمانية التي تجعلُ الدينَ مسألةَ شخصية يمارسه الإنسانُ بينه وبين ربه فقط . أما واقعُ الحياة فتحكّمه أنظمة وقوانين من وضع البشر بأرائهم وأهوائهم ، وظهرت الدعوة إلى الإنسانية الواحدة وأبرزت على أنها الهدف النبيل السامي وأن لا يكون هناك تمايزٌ بين المسلمين والكفار ، بل يعيش البشر بعضهم مع بعض سواسية مختلطين لا يكدر صفو عيشتهم حروب دينية ولا يوجد بينهم عداوة وبغضاء بسبب العقيدة ، بل يعدّون الحرب من أجل إظهار المعتقد أو نشره جريمة يعاقب عليها القانون . وإن كانت هناك حروب فلا يسمح أن تكون لله ولا لإعلاء كلمته ولا لصد المعتدين على دين الله ولا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد ، وإنما تكون لأجل الوطن ، ولأجل القومية ، ولأجل المصالح الاقتصادية وحفظ التوازن الدولي .

هذا هو واقع الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر ، ولأنَّ الله تعالى قد أوجب علينا نصر دينه وتبيينه للناس . قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِنْهُمَا قَلِيلًا مِمَّا بَشَرُوا﴾^(١) . ولأنَّ الرسول (ﷺ) قال : " يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها " فقال قائل ومن قلة نحن يومئذٍ ؟ قال : " بل أنتم كثير ولكنكم غثاء (ما يحمله السيل من وسخ) كغثاء السيل ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت " (٢) .

ورغبةً مني في نصره ديني والوقوف بوجه أعدائه والتصدي لهم بما استطيع، اخترتُ موضوع (الأعداء في اصطلاح القرآن الكريم) دراسة تفسيرية اجمالية بعد استشارة الله تعالى واستشارة أهل العلم من أساتذتي ومشايخي في جامعة بغداد — كلية العلوم الإسلامية ، وفقهم الله لكل خير ، فقد حثوني وأيدوني على الكتابة في هذا الموضوع ، لما له من أهمية في واقعنا الإسلامي الراهن لاسيما ونحن نشهد احتدام الصراع الفكري والديني عالمياً وحضارياً .

وهنا وقبل الدخول في محتوى الرسالة ، لا بدُّ أن أبيِّن المسائل الآتية :

أولاً: الدوافع وراء اختيار البحث

كانت هناك دوافع عدة وراء اختيار هذا الموضوع ، أهمها :

- ١ - تسلط الأعداء على الأمة والإحاطة بها من كل جانب ، حتى أنها ما تخلص من عدوٍ حتى يتسلط عليها آخر .

(١) سورة آل عمران : 187.

(٢) سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، (بلا. ط) ، (ب.ت) ، كتاب الملاحم — باب تتداعى الأمم على أهل الإسلام ، رقم الحديث (4297) 514/2 ، قال الشيخ الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود : صحيح : 514/2.

- ٢ - إبراز قضية الصراع مع الأعداء وإنه أمرٌ واقع لا محالة ، وضرورة أن تعرف الأمة من هم أعدائها .
- ٣ - يعيش العالم الإسلامي واقعاً مريراً لا يعرف فيه أعدائه من أصحابه ويتخبط المسلمون حيناً شرقاً وحيناً غرباً بحثاً عن الأولياء والمناصرين وبحثاً عن منهج يرفعهم ويعلو قدرهم بين الأمم . فأحببتُ أن أبحث في هذا السبيل لأذكرهم واعرفهم باعدائهم .
- ٤ - كثرة تحذير ربّ العزّة من الأعداء والتأكيد على الحذر من دسائسهم ومكائدهم ، وكان السبب الأول لخسران النبي آدم (عليه السلام) منزلته في الجنة هو العدا من قبل إبليس .
- ٥ - لم يقع بين يدي بحث أو كتاب قد تخصص في موضوع الأعداء وتفصيلاته على ضوء التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بسبب حداثة هذا اللون من التفسير الاجمالي .

ثانياً: معوقات البحث

وجدتُ معوقات كثيرة تعيق العمل في كتابة الرسالة ، منها : ظرف البلد الراهن، وسوء الأوضاع الأمنية ، وصعوبة التنقل للحصول على المصادر والمراجع من المكتبات .

ثالثاً: خطة البحث ومنهجه

إنّ البحث الذي نحن بصدد طوِيل ومنتشعب ، وكان منهجي في هذا العمل ما يأتي :

- ١ - اجتهدتُ في إظهار الوحدة الموضوعية لبحثي ، على الرغم من أن الموضوع مطلق غير مقيد .

- ٢ - ما عرضته في هذه الرسالة لموضوع الأعداء رددناه إلى أصول مصادره الرئيسية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ) وأقوال العلماء والمفسرين البارزين في هذا الميدان ، والمعاجم التي لها صلة بموضوع الرسالة .
- ٣ - عزوتُ كل قولٍ إلى قائله وحرصتُ على الأخذ بالأحاديث والروايات الصحيحة وتركتُ كل ما هو ضعيف .
- ٤ - حرصتُ إلى أن أعزو الآيات إلى سورها وذكرتُ أرقام آياتها ، كما حرصتُ على تخريج الأحاديث .
- ٥ - رأيتُ عدم ذكر تراجم جميع الأعلام ، والسبب أن بعض الأعلام لهم من الشهرة ما لا يحتاجون إلى ذكر لتراجمهم .
وكانت خطتي في البحث على النحو الآتي :
قسّمتُ الرسالة على خمسة فصول وهي :
- الفصل الأول : في بيان التعريف بالأعداء :** وفيه ثلاثة مباحث ، تحدثتُ فيها عن تعريف الأعداء في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني والكلمات ذات صلة .
- وأما الفصل الثاني : فهو عن عداوة الشيطان وأولياؤه للأنبياء (عليهم السلام) .** وفيه ستة مباحث ، تحدثتُ فيها عن معاداة الأقوام لأنبيائهم (عليهم السلام).
- وأما الفصل الثالث : فهو أساليب اليهود والمشركين في معاداة المؤمنين .** وفيه ستة مباحث ، تحدثتُ فيها عن أساليبهم في معاداة المؤمنين .
- وأما الفصل الرابع : فهو أساليب عداوة الشيطان لبني آدم .** وفيه خمسة مباحث ، تحدثتُ فيها عن أساليب الشيطان وطرقه في عدائه لبني آدم (عليه السلام).
- وأما الفصل الخامس : فهو الجهاد في سبيل الله ومقاتلة الأعداء ،** وفيه ستة مباحث ، تحدثتُ فيها عن تعريف الجهاد لغةً واصطلاحاً وما أعدَّ الله تعالى من منزلة للمجاهدين ، وأثر الجهاد في صد الأعداء .
- ثم الخاتمة ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها .